

بسم الله الرحمن الرحيم

— مقدمة الشارح —

الحمد لله على ما أفاض من سوابغ « ١ » الآلاء ، « ٢ »
وأضفى « ٣ » من أبراد « ٤ » نوابغ النعماء ، سبحانه أننى عليه
ثناء الموفقين ، وأحمده حمد الشاكرين ، وأستكفيه « ٥ » نوائب
الزمن ، وعوادي « ٦ » الاحن ، وأرغب اليه تبارك وتعالى في
العصمة والتوفيق ، والتسديد لأقوم طريق ، وأسأله عز وجل

(١) سبغ الله النعمة أكملها وأتمها وسعها . تقول فلان في سبعة
من العيش أى في سعة . (٢) الآلاء النعم جمع لى بكسر ففتح أو بفتح
كليهما وفيها لغات أخر ليس هنا متسع لذكرها . (٣) أضفى بمعنى
أسبغ . (٤) أبراد جمع برود وهو الكساء المعروف . (٥) استكفيه
أى اطلب منه ان يقينى ويكفينى . (٦) عوادي الاحن أى عواقب الحزن .

يقيناً يزع « ١ » النفس اذا نزعته ، ويحجزها اذا نزعته ، « ٢ »
ويكفرها عن ردغة « ٣ » الهوان ومراغة « ٤ » المعصية اذا
طمحت ، ويملك عن سبيلها اذا أبقت ، ويأخذ عليها طريقها
اذا همت ، وأعوذ به من الاستئمان الى الضعة ، « ٥ »
والاعتزاز بالسلامة والدعة ، « ٦ » وأستمحه الهداية الى
عمل يشغل به الميزان ، ويتنافس فيه الجديان ، « ٧ » فيعظم
في الناس أثره ، ويغشى الأبصار خطره ، وأرجو من سيب
« ٨ » نعمته أن يبلغني برضوانه العز الذي لا تقزع مروته ،
« ٩ » ولا تلين لنامر قناته ، « ١٠ » فان من اعز به لم تنقض

(١) يزع بمعنى يمنع وهو من باب وهب . (٢) نزع الشيطان بين
هذا وذاك أي أفسد ونزعته النفس أفسدت . (٣) الردغة الوحل .
(٤) المراغة هو المكان الذي تمرغ فيه الابل . (٥) الضعة ويجوز
فيه أيضا ان تكسر المضاد سقوط القدر . (٦) الدعة الراحة وخفض
العيش . (٧) الجديان الليل والنهار . (٨) السيب يتسكن
الياء العطاء والعرف وهو المراد هنا . (٩) المروة واحدة المرو وهو
ضرب من الصوان والمعنى الذي لا ينال بسوء . (١٠) القناة عود
الرحم وغمزها ضغط عليها والمعنى لا يذل لاحد .

مرته « ١ » ولم تقرع صفاته ، « ٢ » واستأنف الرغبة اليه
جل ثناؤه في الصلاة والسلام على واسطة عقد الأنبياء ،
وأشرف المرسلين والأصفياء ، سيدنا محمد أكرم من أظلمته
الخضراء ، وأجل من أظلمته الغبراء ، وعلى آله وصحبه الراشدين ،
الى يوم الدين ﴿ وبعد ﴾ فان كان الألسن دولة فاللسان العربي
أمير تلك الدولة بلا مرآء ، ومكان البيان منه مكان التاج من
المفرق ، والغرة من الجبين ، والفص من الخاتم * ولو أن
للغات عقدا تنزل فرائده من الانتظام فيه على حكم جلالها
وجمالها لكانت العربية وهي اليتيمة العصماء واسطة ذلك العقد *
ولو طالبت الألسن بملك ضائع لباعته اللسان العربي كواكب
الجوزاء ، وأقامت له عرشاً من العظمة على أساس « ١ » من
الضياء ، وضربت له قبة من النور في فسيح السماء * ولو أن
اللغات أزهار كأزهار البساتين ، لكانت العربية فيها
من غير شك ريحانة الرياحين .

(١) المرة في الحبل قتله والمعنى لا يضره شيء . (٢) الصفة
الصخرة الملساء وقرع الصفاة مثل قرع المروة (٣) الأساس جمع أس
وهو الأساس أى الأصل والثانية تجمع على أسس .

وكيف أصف لغة يكاد بيانها يكون سحرا ، وبديعها
حلاوة، ومعانيها أنجما وأقماراً ، وألفاظها أزهار ان لم تكن
أثمارا ، والاعراب فيها وهو آية العجب يقود المعاني بأمتن
زمام ، ويلعب بمرامي الكلام ، لعب الأمانى بالألأباب والوعود
بنفوءاد المضنى المستهام ، والمعنى من وراء اللفظ الذى يشف
عنه يتجلى تجلى وجه البدر الضاحى من وراء نقاب الغمام ،
وتراكيبها الفصيحة قائمة بين الملاحاة والحلاوة تتألف من ألفاظ
لانت حتى كادت تعصر ، وتثنت فأوشكت أن تهصر ،
وكانها عند الوصف حقائق تتجسم حتى تقاطع أشعة العينين ،
وتدنو حتى لتكاد تلمسها بكلتا اليدين ، وقد امتازت على غيرها
من اللغى الراقية ببلاغة أساليب كأنها أخذ السحر ، فى سبائك
التبر ، وبالجملة فان العربية أوسع اللغات تعبيراً ، وأجملها فى الحقيقة
تصوراً وأحسنها تصويراً .

أما وقد امتدّ بى نفس الكلام الى هذا الحد ولم يكن فى
النية بلوغه ، واسترسلت فى الإشادة بمحاسن هذه اللغة بقدر

ما وجدت « ١ » بها خوف تقوُّض نأديها وإففار وادبها، وبلغت
 في إطاراتها قدر ما أحفظ « ٢ » قلبها انحلال عزائم ذويها،
 وأرمضها « ٣ » القعود عن نصرتها، والاغضاء عن إقالتها من
 عثرتها حتى أصبحت في ساقه « ٤ » اللغات وكانت في طليعتها،
 وز حزحت عن تصدُّرها ومن قبل كانت في ريئتها، فلا « ٥ »
 ندحة لى عن حثِّ علمائها ولقت انظارهم الى الاحتفاظ بها
 وتوسيع نطاقها والنوص على ما رسب « ٦ » ولو ظهر لكان
 لنا به « ٧ » غناء عن هذه العجمة، اذ من العار على كل ناطق
 بالضاد أن تبقى العربية على ما هى عليه الآن من تقصير
 أوضاعها عن تأدية ما جد من المعانى وتصور ما يراد تصويره
 في طرزٍ من التعبير يلائم ذوق أهل هذا العصر

وهل ينفع اللغة أو يقصع « ٨ » غاتها، ويعيد اليها بلبها،

-
- (١) وجد به حرن وعليه غضب . (٢) أحفظ أغضب . (٣)
 ارمض أحرق من الرمضاء وهى الحجارة الحامية . (٤) ساقه الجيش
 مؤخره بخلاف الريثة وهى الطليعة . (٥) الندحة السعة والفسحة .
 (٦) رسب الشئ صار الى أسفل . (٧) غناء أى اكتفاء . (٨)
 غلة حرارة العطش وقصع حرارة عطشه أى سكنه .

وقفه علمائها وقفة أنجم الصبح في الحيرة والكسل عن إعادة
 رونقها اليها ، وإغناء المشتغلين بها عن تلك الأوضاع العامة ،
 والتراكيب الأعجمية . اللهم ان عزائمهم في خمود ليس دونه
 خمود ، وسكون يقرب من الجمود ، واللغة يتجاذبها سلب
 المدم وجذب الوجود ، ولو لا ان منهم فذين المعيين عاملين
 على احيائها لأوشكت اللغة أن تقع فيما نخاف وأعنى بهما الأستاذ
 اللغوي المحقق والملاية الكبير المدقور ، الشيخ ابراهيم بن
 ناصيف اليازجي اللبناني الشهير الذي أشرقت بضياءه أرجاء
 مصر ، واليه انتهت الرئاسة في العلوم العربية في هذا العصر ،
 والعلامة الأديب الشهير الذي يحب العزلة وتعشقه
 الشهرة وله على الادب والآداب ، أياد جميلة بيضاء ، الأستاذ
 العبقري المفضل الشيخ محمد المهدي مدرس العلوم العربية
 بدار العلوم الخديوية .

أما علماء ناعفا الله عنهم فقد تركوا هذه اللغة وشأنها وهم لا يسجلون
 بموتها فتدفن مع الآمال ولا هم يستأنفون العزم ويمجدون
 السعى في سدة مواضع الخلال ، تدارك ما طرأ عليها من الظلم التي

تزداد اتساعاً بضيق صدور معجزاتها ، وانفراج مسافة الخلف
بين حماها وحماها ، وقد أوشكت أن يدركها العفاء ، وتقرأ عليها
قصائد الرثاء .

وانى أقف عند هذا الحد من الحث والاطراء ، والتنبيه
والثناء ، أما الحث والتنبيه فلا أن اللغة قد أشرفت على الفناء
ولم تنج بماندر من الألفاظ المعدودة المتداولة على السنة الأدباء
من فضلاء هذا العصر ، وما يرد في تضاعيف بعض الكتب
الحديثة من الأوضاع التي لم تخلص عريتها فنعدّها عريّة ، ولم
تقرب حتى من الركيك المبتذل فنعدّها عامية ، وقد أصبحنا
ونحن لا نجد الى الابتكار سبيلاً ، ولا نرى لنا من استعمال
غير الفصيح مقبلاً ، ولعلّ من أخصّ أسباب ذلك فوضى
الطبع ، وقلة من يعنى بتدارك الثلم في ما يطبع وينشر في هذه البلاد
من مئات الكتب وعشرات الجرائد ، وفقد نقائس الكتب
العربية التي صارت اليوم في جملة ما يدّخر كالدفائن ، ويودع
في الخزائن ، وهنا أمسك عن القول ولا أرسل القلم على
سجّنه لئلا تندر منه رشاشة يقع سوادها في بياض ما بيني

وبين فريق من اخوان الفضل والأدب من المودة وهم وحدهم
المستولون عما صارت اليه اللغة اليوم وما نخشى أن تضير اليه
غدا مما وضع لديهم أثره ، ولم يخف عنهم خبره .

أما أطراء اللغة فلا أعني لأعرف لغة أخرى تقرب منها
في غزارة المادة ، ووضوح الجادة ، ومبلغ ما يستطيع أن يقول
فيها . ثلثي على ضعفه إنها انقردت عن سائر اللغات يانا وفصاحة
وامتازت عنها جلالة ووضاحة ، وقد تقدم لي وصفها بما لا
حاجة بي بعده الى الزيادة عليه ، والا كثر منه ، بيد أن شغني بها غشى
منى دائرة الخيال ، وهلا جانب التصور ، وشغل فضاء الفكر ،
وهذا ما حدا بي الى تتبع آثار الفضلاء من أهلها المتقدمين ،
ومطالعة كتب علماء السابقين ، وهو مطالب لا يظفر به الا ناس
عن كثر ، ولا يمشى الي زيله الا على جسر من العناء والنصب ،
وكان همى مصر وفا الى البحث الى أرى فئة من فضلاء المصريين
تعاون على اخراج الكتب النفيسة النافعة مما تركه لنا جلة
العلماء السابقين فما زلت أجيل الطرف حتى كان من حسن حظي ان
أعرف فتيين أديبين فاضلين هما محمد افندي محمود الخادم ومحمد

أفندى حسن استحق فلما كاشفتها بما فى نفسى من الغيرة على تلك الآثار الأدبية أجابنى الى ما أريد وعقد كلاهما نيته على معاونة أخيه فى هذا العمل المبرور ، وكان فاتحة ذلك أن تكاتفا على طبع ما يظفران به من الكتب النفيسة على تفقهما وسألتنى أن أتولى نظار ما يعز مان على نشره لتصحيحه وشرحه قبل أن يخرج للناس كتابا سويا ، وقد أطر فناحسن الطالع بكتاب ثمين كريم وهو هذا السفر البديع للعلامة المنفرد بحسن التصنيف ، الغنى بشهرته عن الاطراء والتعريف ، الامام أبى منصور الشعابى مصنف فقه اللغة ویتيمة الدهر وغيرهما من مؤلفات هي على عزّة الظفر بها أبقى على الزمن الباقي من الزمن ، وكتب أخرى ان لم يدبجها يراعه فن ، ولعمر الحق إن مثل هذا الكتاب لحرى بأن يسهر الجفن فى طلبه ، ويكدّ الطبع فى سبيل الظفر به ، وأعظم بكتاب يضمّ شمل الفرائد الثمان ، ويقيم بناء الفضل ويرفع القواعد من الأدب ، ويريك وأنت قاعد . مرض آثار القرائح ، وتغريك ملاحاة أوله بحلاوة آخره ، ولا تنتقل عينك فيه من حسن الا الى أحسن ، ولا يجول بصرك فيه من ثمين

الا الى ائمن . وبالجملة فانه الكتاب الذى يزيدك حسنا اذا زدته
 نظرا ، فكيف لا يهتزُّ له عطف الطبع ، ولا يسهد فى تحصيله
 جفن الفكر ، ولا يصغى له سمع العقل .

وهذه النسخة التى ظفرنا بها منه فى دار الكتب
 الخديوية خطية مكتوبة بقلم لا تكاد تحلُّ رموزه وهى من
 تناس ما تركه فقيد اللغة والفضل الامام العلامة الشيخ محمد
 محمود التركزى الشنقيطى ، غير أنى لما تصفحتها وجدت فيها
 مواضع تحتاج الى النظر والبصيرة ، ووقعت منها على معارف
 كادت تنسرك ، ومعالم أوشكت أن تستتر . الى غير ذلك مما
 يمل النفس ويسم الخاطر ، وأغرب من هذا كله ما دخل على
 بعض ألفاظه من التصحيف ، واعتور رسمها من التحريف ، فقد
 كنت أرى الكلمة لا يطمئن بها مكانها وهى من الاستعجاب
 بحيث أضطرّ الى التأنى فى فهمها ، وتقليبها على الوجوه التى
 يحتملها المقام ، حتى أردتها الى أصلها وكل هذا مما كاد يؤثنى
 لولا فضل الصبر على هذه المشاق ، والظن على الترك بنفاسة
 هذا الكتاب الحلو المذاق ، فكم تجشمت فيه من عناء ،

وراجعت في سبيل تصحيحه من أمهات اللغة ما فيه الغناء ،
حتى ضبطت ما يشتبه فيه من كلماته ، وشرحت ما يصعب من
عباراته ، وصححت ما رأيت فيه من الخطأ الذي أدخله عليه
النساخ ، ونهت في مواضع كثيرة الى مظان الاحتمال
ولم اضطلع بهذا العبء الثقيل الا بعد أن شددت مؤر
العناية لاكماله على الوجه المطلوب ، غير حافل بتوزع وقتي
فيما بين يدي من الأعمال الأخرى ، وقبل أن ألقى القلم من
يدي أستغفر الله العلي العظيم مما زلّ به الفكر ، أو طغى به
القلم ، وأسأله تبارك وتعالى أن ينفع به المطالع عليه ، والناظر
فيه ، وأن يسدّد خطواتي الى مواطن الصواب ، وأن يجزل
عنده ثواب شارحه وأجر ناشره ، انه السميع المجيب
الضعيف

محمد صادق عنبر

